

ثورة 30 يونيو أنهت الحكم الديني في مصر

منير عبدالنور: موجات التحديث المجتمعي في الإمارات والسعودية تثير الإعجاب والتفائل



تشبث بمدينة الدولة

منير عبدالنور
جماعات الإسلام السياسي
سوف تبقى خطرا يعترض
التنمية والتحرر والتطور
في العالم العربي

وأضاف "لأسف فإن مصر خلال عهد الرئيس الأسبق حسني مبارك، مع تعاطفي واحترامي للإنسان، وصلت إلى مرحلة انغلاق شديد في الأفق السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وجاء في وقت تتسع فيه مساحات التعبير حتما بفضل التكنولوجيا الحديثة، وكان من المنطقي أن ينتهي الأمر بانفجار".

ورأى عبدالنور، أن التجربة المصرية تواجه تحديات حقيقية في طريق الديمقراطية، بسبب الأخطار الاستثنائية المحيطة بالبلاد من كل جانب، من ناحية الجنوب في ما يخص أزمة سد النهضة الإثيوبي، أو من الغرب نتائج ميليشيات الإرهاب المتواجدة على الأراضي الليبية، أو حتى الشرق عن طريق تسلل الإرهابيين عبر سيناء، وكل هذا يؤجل الحلم الديمقراطي، ويجعل استمرار الطوارئ ضرورة تقيد حرية التعبير.

وبنّيه عبدالنور إلى أن مواجهة الإرهاب الديني قد تدفع السلطة القائمة إلى اتخاذ إجراءات استثنائية تمثل خصما من الحريات العامة، وشهدنا ذلك في مصر خلال الخمسينيات، والسماح للقوى الليبرالية والمدنية بأن تعمل بحرية هو أفضل مقاومة لفكر الإخوان والجماعات المتشددة الذي يتوغل على مستويات غير ظاهرة.

وكان اتحاد القوى المدنية في ثورة 30 يونيو أمام المشروع الإخواني أقوى وأكثر فاعلية في توقيضه، وذلك بالتعاون مع المؤسسة العسكرية، إذ خرج الملايين من المصريين وأعلنوا رفضهم لجماعة الإخوان وللأصولية الانتهازية.

وتكشف منير عبدالنور في ختام حديثه أنه تمتنى بقاء التيارات المدنية موحدة بعد 30 يونيو، لأن تفكيكها لا يصيب في صالح المجتمع والدولة المصرية.

القدر يمكن لقيم التسامح واحترام المرأة والتحرر الثقافي والفكري أن تنتقل بعد نضجها مجتمعيا إلى باقي الأقطار العربية.

وأكد عبدالنور، أن ثورات الربيع العربي لم تنجح لأن النظم السياسية التي كانت سائدة لم تفتح الطريق أمام القوى السياسية المدنية بحرية، ما جعل القوى الدينية تتوغل عبر المساجد ومؤسسات المجتمع التحتية في القرى والنجوع.

وأشار إلى أن موت السياسة أدى إلى انجذاب الناس إلى الخطاب الديني العاطفي، ودفع قوى الإسلام السياسي إلى ركوب موجة الثورات وفرض إرادتها على النظم الحاكمة وكانها صاحبة الثورة.

مكاسب 25 يناير

قال السياسي المصري المخضرم، إنه غير نادم على تأييده لـ25 يناير، لأنه شعر بان البلاد تحررت من فساد عقيد والشباب نجح في التعبير عن رؤاه وتصوراته بشكل مغاير للنمط المعتاد، ما يؤكد أن مصر ما زالت تنبض حياة بوجدانها وروحها وضميرها.

وأوضح أن حماس الشباب في تلك الأيام لم يره من قبل، لكنه كان أساسا يرتبط لحماس تلك في 30 يونيو 2013 بعد اختطاف الأصوليين للحكم، ما يعني أنه كان إرهابا لاستيقاظ روح الشعب الغائب طوال ثلاثة عقود.

ولفت عبدالنور إلى أن أكثر ما أوجع حماسه هو ما جرى في المجتمع القبطي في مصر، فقبل عام 2011 كان هذا المجتمع خامدا ولا مباليا وواقعا تحت سيطرة الكنيسة ورجال الدين، لكنه تحول إلى صاحب إرادة حرة وله صوته وإهتماماته كجزء من النسيج المصري أولا وليس كجزء من المحيط القبطي.

وفي استحضار لتلك الفترة وما رافقها من اختطاف جماعة الإخوان للحراك الشعبي في مصر اعتبر عبدالنور أنه تفاجأ فقط بالسرعة التي جرى بها الأمر، وبكم العنف الذي استجلبته الجماعة معها للبلاد، فيما اعترف أنه توقع هيمنة الإخوان على المشهد العام بالنظر إلى قدرتهم على الحشد، وسيطرتهم على المساجد، لافتا إلى أنه "كنا نأمل في غد أفضل ونراهن على وسطية ووعي للأسف كانا غائبين لدى الناس، فقطعا كان الترددي التعليمي والثقافي عميقا إلى درجة جعلت استقرار الأمور صعبا، لكن على أي حال ثار الناس في مصر وأنهوا الحكم الديني وصحوا للحراك مساره".

وفي اعتقاده أن هناك وسيلتين للتغيير المجتمعي، إما التطور الداخلي القائم على تلاقح تطلعات الشباب مع النظم الحاكمة مثلما يحدث في السعودية، وإما الثورات أو الانتفاضات الشعبية، وليس هناك شك في أن الوسيلة الأولى أفضل وأنجح وأكثر أمنا.

الفنون والآداب، ما يدفع إلى إعادة الحسابات ومراجعة ما مضى وممارسة الجدية في التعامل مع ثقافة التعصب السائدة.

نماذج مثيرة للتفائل

رغم الصورة الموجهة للتعصب في مجتمعاتنا، إلا أن الرجل مقاتل بالمستقبل في ظل موجات تحديث مجتمعية شديدة التسارع تحاول غرس قيم التسامح والوسطية وتهتم بتعليم الإنسان وتقديره بدأت في بعض دول الشرق العربي.

وأوضح أن تلك الموجات تمثل باكورة تعاض فئات عديدة من الشعوب العربية لتحديث مجتمع حقيقي يصاحبه إرساء العلمانية وفصل الدين عن السياسة، ما يثير التفاؤل بشأن فرص التغيير المواتية.

وشدد الوزير المصري الأسبق في حواره على أن ما يحدث في دولة الإمارات العربية المتحدة مثلا من انفتاح على العالم وقبول للآخر وتطلع إلى المستقبل واهتمام بالتعليم وتعاون مع الدول الأكثر علما للاستفادة منها تقنيا وحضاريا، يؤدي في النهاية إلى موجة تحديث عظيمة، لا تلبث أن تتسع تأثيراتها في باقي الدول العربية.

ولفت إلى أن قيم التسامح تسود دائما في المجتمعات الماضية في طريق التطور وليس أدل على ذلك من وجود أعداد كبيرة من اليهود من أصحاب المعتقدات الأخرى والسماح لهم بممارسة معتقداتهم في حرية في إطار من النظام العام والقانون.

وأضاف أن ما يشهده المجتمع السعودي من تطور وانفتاح وحرية يجد ترحيبا واسعا لدى الشباب، ويؤكد أن المجتمعات العربية يمكن تطويرها وتحديثها بعيدا عن النظرة التقليدية القديمة. معتبرا أن إصلاحات ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، تتماشى مع توجهات شباب تعلم معظمه في العالم الغربي، وانفتح كله على الحضارة الغربية بفضل التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصالات، لأن الإصلاحات الفوقية تحقق نتائج أفضل عندما تتوافق مع طموحات الشباب، وهو ما كان غائبا لدى دول الربيع العربي.

وتوقع أن تتجه موجات التحديث الجارية إلى دول عربية عديدة بفضل احتكاكات العمل، فكما انتقل التنس السلفي من السعودية إلى مصر وشمال أفريقيا عبر العاملين هناك، فإنه بنفس

الشباب كان يتطلع بحماس للحظة 30 يونيو 2013 بعد اختطاف الأصوليين للحكم، ما يعني أن حراك 2011 كان إرهابا لاستيقاظ روح الشعب الغائب طوال ثلاثة عقود

لا يكاد يذكر العالم العربي إلا مرادفا لظواهر التعصب والانغلاق والتشدد، وهي سمات تغذت من إرث ديني وحضاري يرفض التعدد والاختلاف تزواج مع استبداد سياسي هيمن لفتترات طويلة، ما جعل الكثير من المهتمين والدارسين يعتبرون أن شرط بناء مستقبل للعالم العربي مرهون بقدرته على استئصال أورام التعصب. واحد ممن يتبنون هذه الرؤية هو منير فخري عبدالنور، الوزير المصري الأسبق والمتفكر المعروف الذي كشف في حوار له "العرب" أن نمو الأصولية وتعاضها يرجعان إلى ثقافة الرأي والموقف الواحد الذي رسخته أنظمة مستبدة بعد التحرر من الاستعمار، لافتا إلى أن شيوع الفوضى والحروب في بعض الأقطار العربية إثر ما عرف بثورات الربيع العربي هو من نتائج غلبة التعصب، مشيدا في المقابل بمساعي الانفتاح والتحديث والتطوير التي تقوم بها كل من الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ما يثير التفاؤل بشأن فرص التغيير في المنطقة العربية.

وقال عبدالنور، لـ"العرب"، إن جماعات الإسلام السياسي سوف تبقى خطرا يعترض التنمية والتحرر والتطور في العالم العربي ما دامت الثقافة السائدة قوامها التعصب ورفض الفكر المختلف وعدم التسامح تجاه الآخر.

وأضاف "يبقى الخطر داهما ومتناميا مادامنا غير قادرين على توسيع مدارك حرية التعبير وقبول الآخر والعمل بجد على فتح الأبواب والنوافذ للمزيد من الحريات".

ومنير فخري عبدالنور سليل عائلة قبطية عملت بالسياسة منذ بدايات القرن العشرين، وكان جده فخري عبدالنور، أحد رفاق سعد باشا زغلول في ثورة 1919. ولد عبدالنور في أغسطس سنة 1945 ودرس الإحصاء بجامعة القاهرة، وحصل على ماجستير في العلوم الاقتصادية من الجامعة الأميركية بالقاهرة، وعمل في مجال الصناعة والتجارة والبنوك عدة سنوات، قبل أن ينضم إلى حزب الوفد الجديد في منتصف التسعينات، وفاز منير عبدالنور بعضوية البرلمان المصري في الفترة من 2000 إلى 2005 عندما ترشح لإحدى دوائر القاهرة مقدما على مرشح الحكومة.

كان أحد الداعمين للشباب في ثورة يناير 2011، وأسهم في تشكيل جبهة الإنقاذ لمواجهة خطر الإخوان بعد ذلك، تمهيدا للانتفاضة 30 يونيو 2013، وشغل مرتين مقعدا في الوزارة، الأولى في الفترة من فبراير 2011 وحتى أغسطس 2012 حيث تولى منصب وزير السياحة، ثم استقال فور تولي الإخواني محمد مرسي منصب رئيس الجمهورية، والفترة الثانية بعد سقوط حكم الجماعة من يوليو 2013 إلى سبتمبر 2015، وتولى منصب وزير التجارة والصناعة.

وأشار عبدالنور في حوار له إلى أن ثقافة التعصب ما زالت متغلغلة في ربوع المجتمعات العربية وهي المسؤولة عن تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والإرهاب والحروب الأهلية التي تحدث في عدة أقطار.

وحسب تصويره، فإن ما يعرف بثورات الربيع العربي

واحد من هؤلاء هو منير فخري عبدالنور، السياسي والليبرالي والوزير المصري الأسبق والمتفكر المعروف الذي يؤمن بأن نمو الأصولية وتعاضها يرجعان إلى ثقافة الرأي والتصور والموقف الواحد الذي رسخته أنظمة مستبدة بعد التحرر من الاستعمار.

التقت "العرب" فخري عبدالنور بمكتبه المطل على شارع طلعت حرب بجوار ميدان التحرير في وسط القاهرة، لمناقشة تصوراتته بشأن مستقبل الليبرالية في المجتمعات العربية، وبدا متفعلا مع الأخطار المحدقة بالمنطقة، ومتفائلا بموجات التحديث المجتمعي في عدد من الدول العربية.

دار الحوار على مدى ساعتين، وما بلغت الانتباه لأول وهلة أن مكتب الرجل مزدحم بخرائط عديدة معلقة على الجدران؛ لمصر عبر مراحل تاريخية متعددة، ولحوض النيل وأفريقيا، والشرق الأوسط، ما دفعنا لسؤاله عن تلك الخرائط، فذكر أنها هوية صاحبه منذ الطفولة، حيث عشق الجغرافيا واهتم بجمع الخرائط القديمة.

التعصب يعرقل التنمية

استأثر الحديث حول المشهد السياسي العام في مصر بمجمل الحوار، وكمتابع لتفاصيل ما يحدث في بلاده حذر الوزير المصري من عواقب إغفال الاهتمام بجماعة الإخوان باعتبار أن السلوك المهان الذي تتبعه الجماعة مرحليا لا يثير الاطمئنان، لافتا إلى كونها تمثل خطرا دائما يهدد استقرار مصر.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

بات مستقبل العالم العربي حضاريا مرهونا بقدرته على استئصال أورام التعصب، وسحقها ومحو آثارها مجتمعيا لميلاد أجيال جديدة قادرة على صناعة الحداثة والنهضة.

وتعد ظاهرة التعصب في المجتمعات العربية قديمة وراسخة حتى أضحت محفورة في عقولنا، وحقولنا الحياتية، وهي نتاج نصف قرن من تسلط أنظمة تسلمت العالم العربي من الاستعمار، وينتج دولا متوحشة قائمة على الدكتاتورية التي صادرت كل شيء، وانتهت بها الحال إلى وقائع درامية استغللتها التيارات الدينية في الاقتراع من السلطة، مستفيدة من مناخ الإقصاء المحيط ومستثمرة الأحادية المتسيدة في اختطاف الشارع.

يرى البعض من الليبراليين العرب أن تنامي ظاهرة الأصولية في العالم العربي جاء كرد فعل طبيعي على إخفاقات النظم الوطنية المحككة للسلطة، حيث مارس قمعاً فكرياً وقهراً ممنهجاً ساهم في تسديد الفكر المتشدد ورفض الآخر، ما جعل التربة مهياة لزرع التطرف والإرهاب كي ينمو ويتعشا.

تنامي ظاهرة الأصولية في العالم العربي
فعل طبيعي على إخفاقات
النظم الوطنية المحككة
للسلطة بما أنها مارست
قمعاً فكرياً وقهراً ممنهجاً